

روح المعاني

ومن يعتصم بالله إما أن يقدر مضاف أي ومن يعتصم بدين الله والإعتصام بمعنى التمسك إستعارة تبعية وإما أن لا يقدر فيجعل الإعتصام بالله إستعارة للإلتجاء إليه سبحانه قال الطيبي :

وعلى الأول تكون الجملة معطوفة على وأنتم تتلى عليكم أيكيف تكفرونأي والحال أن القرآن يتلى عليكم وأنتم عالمون بحال المعتصم به جل شأنه وعلى الثاني تكون تذيلا لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا إلخ لأن مضمونه أنكم إنما تطيعونهم لما تخافون من شرورهم ومكايدهم فلا تخافوهم وألتجئوا إلى الله تعالى في دفع شرورهم ولا تطيعوهم أما علمتم أن من ألتجأ إلى الله تعالى كفاه شر ما يخافه فعلى الأول جيء بهذه الجملة لإنكار الكفر مع هذا الصارف القوى المفهوم من قوله تعالى : وأنتم تتلى عليكم إلخ وعلى الثاني للحث على الإلتجاء ويحتمل على الأول التذييل وعمل بالثاني الحال أيضا فأفهم و من شرطية وقوله تعالى : فقد هدى إلى صراط مستقيم 101 جواب الشرط ولكونه ماضيا مع قد أفاد الكلام تحقق الهدى حتى كأنه قد حصل قيل : والتنوين للتفخيم ووصف الصراط بالإستقامة للتصريح بالرد على الذين يبالغون له عوجا والصراط المستقيم وإن كان هو الدين الحق في الحقيقة والإهتمام إليه هو الإعتصام به بعينه لكن لما اختلف الإعتباران وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى : فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز إنتهى .

وأنت تعلم أن هذا على ما فيه إنما يحتاج إليه على تقدير أن يكون المراد من الإعتصام بالله الإيمان به سبحانه والتمسك بدينه كما قاله ابن جريج وأ إذا كان المراد منه الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والإلتجاء إليه كما روى عن أبي العالية فيبعد الإحتياج وعلى هذا يكون المراد من الإهتمام إلى الصراط المستقيم النجاة والظفر بالمخرج فقد أخرج الحكيم الترمذي عن الزهري قال : أوحى الله تعالى داؤد عليه السلام ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي وتكيده السموات والأرض إلا جعلت له من ذلك مخرجا وما من عبد يعتصم بمخلوق من دوني إلا قطعت أسباب السماء بين يديه وأسخت الأرض من تحت قدميه .

يا أيها الذين آمنوا كرر الخطاب بهذا العنوان تشريفا لهم ولا يخفى ما في تكراره من اللطف بعد تكرار خطاب الذين أوتوا الكتاب أتقوا الله حق تقاته أي حق تقواه روى غير واحد عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وأدعى كثير نسخ هذه الآية وروى ذلك عن ابن مسعود .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت أشدد على القوم العمل فقاموا

حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأُنزل اﷻ تعالى تخفيفا على المسلمين فأتقوا اﷻ ما
أستطعتم فنسخت الآية الأولى ومثله عن أنس وقتادة وإحدى الروایتين عن ابن عباس وروی ابن
جریر من بعض الطرق عنه أنه قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في اﷻ حق جهاده ولا
تأخذهم في اﷻ تعالى لومة لائم ويقوموا ﷻ سبحانه بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم
ومن قال بالنسخ جنح إلى أن المراد من حق تقاته ما يحق له ويليق بجلاله وعظمته وذلك غير
ممکن وما قدروا اﷻ حق قدره ومن قال بعدم النسخ جنح إلى أن حق من حق الشيء بمعنى وجب
وثبت والإضافة من باب إضافة الصفة إلى موصوفها وأن الأصل أتقوا اﷻ إتياء اﷻ حقا أي